

## المطلب الأول: الحالة السياسية

خَرَجَ الْمَلِكُ مِنْ مَكَّةِ الْمُكْرَمَةِ مِنْذُ أَنْ فَتَحَهَا حَضْرَةُ الرَّسُولِ الْأَعْظَمِ ﷺ، وَلَمْ يَعُدْ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَيْهَا، وَإِنْ بَقِيَتْ عَاصِمَةً لِلْحِجَازِ مِنْذُ عَهْدِ الْأُمَوِيِّينَ، إِذْ اسْتَأْثَرَتِ الْمَدِينَةُ الْمُنُورَةُ بِالْسلطانِ مِنْ يَوْمِ فَتْحِ النَّبِيِّ ﷺ مَكَّةَ إِلَى عَهْدِ سَيِّدِنَا عَلِيٍّ ؓ إِذْ انْتَقَلَ مَرْكَزُ الْخِلَافَةِ إِلَى الْكُوفَةِ فِي الْعِرَاقِ، ثُمَّ انْتَقَلَ الْمَلِكُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ إِلَى دِمَشْقَ وَإِلَى بَغْدَادَ وَإِلَى الْقَاهِرَةِ وَإِلَى الْأَسْتَانَ، وَاتَّصَلَتِ الْخِلَافَةُ بِالْمَلِكِ فِي هَذِهِ الْبِلَادِ جَمِيعاً أَمَّا الْبِلَدُ الْأَمِينُ فَقَدْ انْخَلَّتْ عَنْهُ السُّلْطَةُ الزَّمْنِيَّةُ وَإِنْ بَقِيَ لَهُ بِالْبَيْتِ الْحَرَامِ كُلِّ الْجَلالِ الرُّوحِيِّ (1).

وقد انضمت مكة المكرمة إلى الدولة العثمانية دون قتال، وذلك أنّ السلطان سليم ابن بايزيد لما استقر بمصر وتمّ له تملك الديار المصرية كما تمّ له تملك الديار الشامية اشتاقت نفسه إلى تملك الأقطار الحجازية ليقوم بخدمة الحرمين الشريفين فأراد أن يُجَهِّزَ جيشاً ويُسَيِّرَهُ إِلَى الْحِجَازِ وَيَنْتَزِعَهُ مِنْ عَمَالِ السُّلْطَانِ الْغُورِيِّ وَكَانَ أَمِيرُ مَكَّةَ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ الشَّرِيفُ بَرَكَاتُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ بَرَكَاتِ بْنِ حَسَنِ بْنِ عَجْلَانَ وَمَعَهُ أَبُو نَمِيٍّ وَلَدُهُ، فَلَمَّا عَزَمَ السُّلْطَانُ سَلِيمٌ عَلَى تَجْهِيزِ جَيْشٍ إِلَى الْحِجَازِ صَدَّاهُمْ عَنْ ذَلِكَ الْقَاضِي صَلاحُ الدِّينِ بْنُ أَبِي السَّعُودِ بْنِ ظَهْرَةَ - وَهُوَ مِنْ أَعْيَانِ مَكَّةَ وَكَانَ مَسْجُوراً بِمِصْرَ -، وَقَالَ: لَا حَاجَةَ إِلَى تَجْهِيزِ الْجَيْشِ فَإِنَّ الشَّرِيفَ بَرَكَاتَ يَكْفِيكُمْ هَذَا الْأَمْرَ وَيَحْصِلُ لِمَوْلَانَا السُّلْطَانِ الْمَطْلُوبُ، وَعَرَّفَهُمْ مَنْزِلَةَ الشَّرِيفِ بَرَكَاتٍ، وَمَنْزِلَتَهُ مِنَ الشَّرَفِ وَالْعِلْمِ، وَأَنَّهُ أَوَّلُ مَنْ يَطِيعُ السُّلْطَانَ وَيَأْخُذُ لَهُ الْبَيْعَةَ مِنْ أَهْلِ الْحَرَمَيْنِ وَالْأَقْطَارِ الْحِجَازِيَّةِ وَيَكْفِي بَدَلاً عَنِ الْجَيْشِ أَنْ تَرْسَلُوا لَهُ تَوْقِيعاً شَرِيفاً مِنَ السُّلْطَانِ، فَقَنَعُوا بِذَلِكَ، فَبَعَثُوا إِلَيْهِ بِالتَّوْقِيعِ وَمَعَهُ خِلْعَتَانِ عَظِيمَتَانِ وَاحِدَةٌ لِلشَّرِيفِ بَرَكَاتٍ وَالْأُخْرَى لَوْلَدِهِ الشَّرِيفِ أَبِي نَمِيٍّ، فَاسْتَقْبَلَهُمُ الشَّرِيفُ وَوَلَدُهُ وَلَبَسَا الْخِلْعَتَيْنِ وَأَخَذُوا الْبَيْعَةَ لِلْسلطانِ سَلِيمٍ وَدَعَا لَهُ فِي الْخُطْبَةِ وَحَصَلَتْ طَاعَةُ النَّاسِ وَانْقِيَادُهُمُ بِالرِّضَا وَالْقَبُولِ، وَكَانَتْ تِلْكَ الْأَحْدَاثُ فِي مَطْلَعِ سَنَةِ 923 هـ (2).

(1) هيكُل، محمد حسين، في منزل الوحي، ط1، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1356 هـ: ص127. بتصرف يسير.

(2) دحلان، أحمد بن زيني، الدولة العثمانية من الكتاب الفتوحات الإسلامية بعد مضي الفتوحات النبوية، مكتبة الحقيقة، استانبول، تركيا، 1417 هـ/1997: ج2/ص143-144.

وبذلك نرى أن مكة المكرمة قد انتقلت من التبعية للشراكسة إلى الدخول في الدولة العثمانية سلمياً ودون حدوث أيّ تغيير سياسي فيها سوى اسم السلطان على المنبر وفي الكتب الرسمية في حين ظل شريف مكة وولده في منصبيهما.

وخير إيجاز لتاريخ الدولة العثمانية هو ما قاله حضرة الشيخ مصطفى كمال الدين رحمه الله: (هو إنها كانت في سالف الزمان دولة عظمى بقيت أكثر من أربعة قرون. ولكنها إبّان قرنهما الأخير من عمرها مرضت بأمراض الحضارات والدول العظمى حين تتداعى. اختلّت السياسة والإدارة في أقطارها المترامية. وغفلت هي عن النهضة الصناعية، ونهضة الصناعات الحربية في أوروبا، حتى ضعفت ضعفاً شديداً تجاه الدول الأوروبية التي كانت تناصبها العداء أو تتناوشها بالحروب ولاسيما روسيا القيصرية وفرنسا وبريطانيا. ثمّ نخرت في قوامها الضامر دابة الشقاق الداخلي، تلك التي توافر على بثها الأتراك أنفسهم كما توافر على الأقوام الآخرون من شعوب الدولة العثمانية، فانهارت ولفظت أنفاسها الأخيرة)<sup>(1)</sup>.

إذن فالمرحلة التي نحن بصدد دراستها وهي القرن الرابع عشر قد اتسمت بالاضطراب السياسي العام في الدولة العثمانية ولا شكّ أنّ هذا الاضطراب -ولا سيما إذا كان في العاصمة- يُلقي بظلاله على جميع أنحاء الدولة ونواحيها، ويهيئ جواً ملائماً لمن يريد الانفراد أو الاستقلال ببعض المناطق والأقاليم.

وكان السلطان العثماني في هذه المرحلة هو السلطان عبد الحميد الثاني الذي بويع في يوم الخميس 11/شعبان/1293هـ-1876/8/31م، وهو شخصية فريدة وفدّة قلّ نظيرها، وما إن تولى السلطة حتى طالبه دعاة الدستور بإعلان مشروع الدستور، فتمّ لهم ذلك في 6/ذي الحجة/1293هـ-1876/12/23م<sup>(2)</sup>، ولم تتغيّر العلاقة بين البلد الحرام ومقرّ السلطنة العثمانية في الأستانة على اثر هذا الإعلان، بل ظلّت البلاد مربوطة بعجلة الحكومة العثمانية الدستورية الجديدة، وظل الحكم فيها على سابق عهده تابعاً للعثمانيين لم يتغير في أحكامه شيء إلا ما اقتضاه نصّ الدستور من تمثيل البلاد

(1) د. عبد الله مصطفى، الحرية الجامعية (قصص من واقع الحياة)، ط1، مطابع التعليم العالي، بغداد، 1410هـ-1989: ص83.

(2) ينظر: أورخان محمد علي، السلطان عبد الحميد الثاني (حياته وأحداث عصره)، ط1، مكتبة الأنبار، العراق، 1407هـ-1987م: ص92-109.

التابعة للدولة العثمانية في مجلس المبعوثان، الذي يشرف على إدارة الولايات، فقد قرّر الدستورون انتخاب من يمثل الحجاز في ذلك المجلس<sup>(1)</sup>.

ولما وصلت الأوامر في عام 1326هـ لم يجز الانتخاب الذي يقرره الدستور، فاختر الشريف علي بن محمد الشيخ عبد الله سراج المفتي الذي استقال قبل أن يصل إلى الأستانة، وفي عام 1327هـ جدّد الحسين الانتخاب فندب ابنه عبد الله -ملك الأردن فيما بعد- وحسن عبد القادر الشبي فسافرا إلى الأستانة وأدركا الجلسة الثالثة في مجلس "المبعوثان"<sup>(2)</sup>.

ومن أبرز أحداث سنة 1326هـ ثورة بعض الأهالي في مكة؛ وذلك لأن رجال الدستور من العثمانيين قرّروا استيفاء ضريبة خاصة على دفن الموتى وقدرها خمس ريات لتصرف على إصلاح القبور، واستحضروا شيخ القبوريين ليلغوه استيفاءها من أصحاب الموتى، فاستنكر الشيخ أمر الضريبة وخرج من دار الحكومة صائحاً فاجتمع إليه الناس فأعلمهم الأمر في صورة استثارت شعورهم، وكانوا لم يتوطنوا بعد على مبادئ الدستوريين ولم يقتنعوا بثورتهم على الخليفة، وصاح صائحهم بالجهاد في سبيل الله، فاستجاب الشباب من جميع الحارات وخرجوا بأسلحتهم ينادون بالثورة على الأتراك، فاشتبكوا مع الجند في عدّة مواقع من الأسواق، وقتل وجرح عدد كبير من الفريقين، ثم استطاع الأتراك بمساعدة بعض الأشراف إخماد الفتنة بعد ساعات من نشوبها، وقد اتهم أمير مكة علي بن عبد الله باشا بالدعوة إلى الثورة ومساعدتها<sup>(3)</sup>.

وفي يوم الثلاثاء 6/ربيع الثاني/1327هـ -1909/4/27م خلع السلطان عبد الحميد الثاني<sup>(4)</sup>، فحرّص الدستوريون الذين قاموا بخلعه على تولية إمارة مكة لرجل يواليهم فكان الحسين بن علي، ولكنهم لم يكونوا على اطلاع على حقيقة شخصيته إذ كان من أشدّ المحافظين وأكثرهم تمسكاً بما ورث من عقائد ولهذا كان لا يميل إلى فكرة الدستور ولا يعترف في أعماقه بمبادئه التي تحوّل عامة

(1) السباعي، أحمد، تاريخ مكة، الأمانة العامة للاحتفال بمرور مائة عام على تأسيس المملكة العربية السعودية، مكة المكرمة، 1419هـ -1999م: ج2/ص638.

(2) المرجع نفسه: 633/2.

(3) السباعي، تاريخ مكة: 631/2.

(4) اورخان محمد علي، السلطان عبد الحميد الثاني: 333.

الشعب شيئاً من حقوق الحكم وكان إلى جانب هذا يعتقد أنّ نظامه لا يتفق وما ورث من تقاليد تفصل بين الحاكمين والمحكومين<sup>(1)</sup>.

وكان يعرف مبلغ الفوضى التي خلفت ظفر الدستوريين في الأستانة واتصل باضطرابات العناصر غير التركية، وماج مع الهائجين لقضية العروبة، واختلط بالداعين إليها باسم الاستقلال الذاتي، وسمع منهم وأعطاهم فآثر ذلك في توجيهه وهَيَّأَ تهيئةً كان لها أثرها فيما بعد، وقد قيل إنه كان شخصية لامعة في عاصمة الأتراك وكانت له حلقة واسعة من المعجبين<sup>(2)</sup>.

وانتقل الحسين من الأستانة ليتسّم منصبه في مكة دون أن يبدو منه ما يخالف مبادئ الدستور، وبوصوله إليها لم يجاهر بمقتهم أو كراهيتهم بل ظلّ في مجالسه الرسمية يبتهل إلى الله أن يجمع كلمة المسلمين تحت راية العثمانيين وأن يسدّد خطاهم ويمنحهم التوفيق<sup>(3)</sup>.

وشعر الوالي التركي في مكة آنذاك\* كاظم باشا أنّ مجالس الحسين كانت تفيض حيويةً وأنه دائم الاتصال بطبقات الشعب والأهالي، وأنه يُعنى عناية خاصة باستقبال وفود البلاد العربية في موسم الحج ويطيل في حديثه إليهم عما يتوجّسه من رجال الاتحاد وأنه كثير الاهتمام بمرافق البلاد، حريص على أن لا يترك للوالي فرصة يؤدي وظائفه فيها إلّا في أضيق نطاق، فأراد أن يستيقظ حرصاً على مصالح الدولة العثمانية وتنفيذاً لسياسة الاتحاديين فجَرَّه ذلك إلى مشكلات انتهى أمرها إلى الأستانة فلم يستطع الاتحاديون علاجه إلّا بعزل الوالي وتولية غيره، فعانى الوالي الجديد من حيوية الحسين ما عانى سابقه ثم انتهى أمره إلى العزل، وعُزل بعده غيره وغيره، فلم تمضِ السنوات السبع الأولى من حكم الحسين حتى كان قد تعاقب على الولاية في مكة ستة ولاة<sup>(4)</sup>.

(1) السباعي، المرجع السابق: 632/2.

(2) السباعي، تاريخ مكة: 632/2.

(3) المرجع نفسه: 633/2.

\* تجدر الإشارة إلى أنّ العثمانيين آنذاك عندما كانوا يعينون أميراً لمكة يعينون معه والياً تركيا، ولكل منهما صلاحيات خاصة.

(4) السباعي، المرجع السابق: 633/2.

## الثورة العربية الكبرى وقيام الحكومة الهاشمية

بعد أن شعر الحُكّام الجُدّد في الأُسْـتانة بتوسّع نفوذ الشريف حسين في مكة وما جاورها حاولوا التقليل من نفوذه وسلطانه فقرّروا فصل المدينة المنورة عن مكة المكرمة رسمياً—وقد كان أمير مكة يجمع معها المدينة المنورة—ولكنهم تجنبوا إثارته فأظهروا له أنّ غايتهم من ذلك هو تنفيذ رغبة أهل المدينة أنفسهم، وشجعوا أهل المدينة المنورة على المطالبة بذلك، فرفع طلبهم إلى استانبول، فصدر الأمر بفصل جميع شؤون المدينة المنورة عن مكة المكرمة، وبذلك تحجّم بعض نفوذ الشريف حسين<sup>(1)</sup>. ولما قامت الحرب العالمية الأولى سنة 1333-1337هـ/1914-1918م دخلت تركيا الحرب إلى جانب دول الوسط—ألمانيا والنمسا—في حين تمكن الانكليز—بمراسلات حسين—مكماهون—من جرّ العرب إلى جانب الحلفاء—بريطانيا وفرنسا وروسيا—فسادت فكرة القومية العربية ووقع الصّدام بين العرب والأتراك<sup>(2)</sup>، فقد نشط الشريف حسين وأبناءؤه الثلاثة: عبد الله وفيصل وعلي في الإعداد للمعركة الفاصلة من خلال الثورة على الأتراك، فلازم عبد الله أباه، وتولى الاتصالات مع الانكليز وحلفائهم لوضع الخطط السياسية والعسكرية، وعمل فيصل كمبعوث مزدوج المهمة، فهو مندوب والده لدى العثمانيين يمّوه عليهم ويظهر لهم ولاء الحجاز من جهة، ويتصل بزعماء الحركات والجمعيات الناقمة على الأتراك من جهةٍ أخرى ويعدّ معهم الخطط للثورة من جهةٍ أخرى، في حين قام علي بمهمة الاتصال بالقبائل الحجازية المنتشرة بين الطائف والمدينة المنورة للمشاركة في الثورة، وارتاب كبار المسؤولين الاتحاديّين في الأُسْـتانة من تصرفات الشريف حسين، فعهدوا إلى الحاكم العسكري بمتابعة تصرفاته وتحركات أبنائه، وعجّل الشريف بثورته في مكة في 10/شعبان/1334هـ—

1916/6/9م وأطلق الرصاصة الأولى من شُرْفة قصره باتجاه الثكنات العثمانية في مكة وأمر رجاله بالهجوم على الجيش العثماني<sup>(3)</sup>، وكانت حامية جدة أسبق إلى التسليم لأنّ ثلاثاً من بوارج البريطانيين ساعدت المهاجمين على ضرب تحصيناتهم فاضطرّتهم للتسليم بعد ثلاثة أيام من بدء الحصار، أما مكة

(1) ينظر: د. عبد الباسط بدر، التاريخ الشامل للمدينة المنورة، ط1، المدينة المنورة، 1414هـ-1993م: ج3/ص37-38.

(2) د. جميل عبد الله محمد المصري، حاضر العالم الإسلامي، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة: ج1/ص109.

(3) بدر، التاريخ الشامل: 42/3-55 باختصار.

فقد بدأ الثوار بحصار الثكنة العسكرية فيها بجرول، كما حاصروا قلعة أجياد، ومركزي الحميدية والصفاء وقد استسلم المركزان بعد مناوشات بسيطة، وأما الثكنة العسكرية فقد أحس من فيها بالرصاص يتناثر حولهم في الصباح الباكر، وكان جند الأتراك يقومون بتمارين في ساحة الثكنة فأسرعوا إلى دخول الثكنة وخاطب أمرهم الشريف حسين تليفونياً يسأله عن الحادث فأجابه: إنَّ العربَ لا تريدكم حكماً عليهم، فقال الأمر: إننا مستعدون للتسليم إذا ندبتم من تختارونه لذلك، فندب لهم الحسين أحد الأشراف: شرف عبد المحسن البركاتي، فطلب إليه الدخول إلى الثكنة لتجري أعمال التسليم، فتقدم يخطو إلى الباب، وما كاد يفعل حتى نبَّهَهُ أحد الضباط العرب فنجا بنفسه، ودخل الجند فاستعدوا للدفاع وظلت المناوشات أياماً ثمَّ سلموا أنفسهم<sup>(1)</sup>، وسلَّم حصنُ القلعة بعدهم بنحو أسبوع بعد أن دافع الأتراك جهد استطاعتهم واستطاعوا أن يشعلوا النيران في جملة من بيوت مكة كانت تقع في أجياد وصلت بعض النيران إلى الكعبة، ولم يمضِ نصف شهر حتى كانت الثورة قد استخلصت مكة وجدة من الأتراك، أما قوات الطائف فقد صابرت أكثر من ثلاثة أشهر ثمَّ سلمت لعبد الله بن الحسين في 24 من ذي القعدة 1334هـ، وما كاد شعبان من تلك السنة يفضي إلى نهايته حتى كانت الإمدادات الانكليزية قد وصلت مقدماًتها إلى جدّة، وكانت تتمثل في بطارية ميدان، وبطارية مكسيم و3000 بندقية، وفرقة من الجيش قوامها 330 جندياً تصحبهم 240 دابة<sup>(2)</sup>.

ودوَّى صوت الثورة في العالم، وأصدر الثائر في مكة منشورات يُبرِّر فيها ثورته على الاتحاديين بأنهم: أهانوا خليفة المسلمين واستقلوا بالأمر دونه وتلاعبوا بأحكام الشرع وبلغت الأنباء مسامع الاتحاديين في تركيا والشام فأندروا وتوعدوا وصرَّح يومها بعض قادة العسكريين الألمان باستيائه مما حدث<sup>(3)</sup>.

وحاول الأتراك في الاستانة الإسراع في معالجة الموقف فأصدروا أمرهم بعزل الشريف حسين واختاروا ابن عمِّه الشريف علي حيدر من أبناء الشريف غالب، وقصدوا بذلك أن يواجهوا الشريف

(1) السباعي، تاريخ مكة: 2/682.

(2) السباعي، تاريخ مكة: 2/682-683.

(3) المرجع نفسه: 2/684.

حسين بأقربائه، وكان الشريف علي حيدر مقيماً في الاستانة ويعمل لموالاة الاتحاديين في وظيفة وكيل مجلس الشيوخ العثماني، وقد زوّد الشريف حيدر بالأموال اللازمة وأرسل مع حاشية بالقطار إلى المدينة المنورة، ووصل معه- في أوائل ذي القعدة 1334هـ- تموز 1916م- وفد يحمل كسوة للكعبة المشرفة صُنعت في تركيا، وخرج فخري باشا وأعيان المدينة لاستقباله في محطة القطر، فأصبحت المدينة المنورة عاصمة مؤقتة للحجاز عند العثمانيين حتى يتم القضاء على ثورة الشريف حسين، واتصل بالشريف حيدر عددٌ من رجالات القبائل المواليين للعثمانيين والمحايدين ولكن الشريف حيدر لم يحسن التفاهم معهم، ثم اتصل به سلطان نجد عبد العزيز بن عبد الرحمن بن سعود وأبدى استعداداه لدعمه والتعاون معه لضرب الشريف حسين، وقد ضيّع الشريف حيدر هذه الفرصة أيضاً<sup>(1)</sup>.

ولكنه استطاع أن يتصل ببعض القبائل ويستميلها إلى صفوف العثمانيين كما استطاع أن يستميل ابن مبيرك أمير رابغ ليساعده ضدّ الثوار، فبذل ابن مبيرك في سبيل ذلك كثيراً واستطاع أن يؤخر كثيراً من الإمدادات التي كانت ترسلها بريطانيا إلى جيش الثوار، وكاد الشريف علي حيدر أن ينجح في زحفه إلى مكة ليبلغ الحج من ذلك العام 1334هـ ليضع للثورة في مكة نهاية حاسمة، ولكن الأتراك عجزوا عن إمداده بالذخائر وطالت عليه المدة فترك الأمر ومضى إلى لبنان بعيداً عن الحركة حتى نهاية الحرب دون أن يعمل شيئاً<sup>(2)</sup>، وفي هذه الأثناء استنجز الحسينُ الحلفاء وعودهم فماتوا بعض الوقت، ثم أرسلوا إليه بعض الضباط العرب الذين أسروهم في بعض مواقعهم مع الجيش العثماني ثم سيطر الثائرون على قرى كثيرة في الشمال انتهوا إلى العقبة، ثم بسط فيصل سيطرته على الشام في 42/ ذي الحجة/ 1336هـ- 1918/11/2م، وفي 6/ جمادي الثاني/ 1338هـ- 1920/3/7م، أعلن المؤتمر السوري في دمشق استقلال سوريا بحدودها الطبيعية ومنها فلسطين<sup>(3)</sup>.

وكان الشريف حسين قد أعلن نفسه ملكاً على بلاد العرب في محرم 6/ محرم/ 1335هـ، ولم يرضَ البريطانيون بذلك لأنهم كانوا يحتلون بعض الدول العربية آنذاك، فتوقفوا عن دعمه وهكذا تقلصت

(1) بدر، التاريخ الشامل: 61/3-63.

(2) السباعي، تاريخ مكة: 2/685 باختصار.

(3) ينظر: المرجع نفسه: 687/2-690.

الأحلام وانهارت الآمال وقبع الحسين في مكة لا يسري نفوذه المستقل إلا على الحجاز، ولا يملك من مؤهلات الإنكار إلا كلمات الاحتجاج، وهي لغة لا تؤدي في قواميس الحياة ما تؤديه المدافع والمدمرات والأساطيل في الماء والسماء<sup>(1)</sup>.

### ثَوْرَةُ الْحُسَيْنِ مِنْ مَنْظُورٍ شَرْعِيٍّ

مع أنني أرى عدم صحة الخروج على السلطان القائم شرعياً وواقعياً فإن هناك أموراً رئيسة في ثورة الحسين في مكة ظهرت كأخطاء أصابت حركته في مقتل لعل أبرزها استعانته بالكافرين وقد قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾<sup>(2)</sup>، وقال ﴿وَأَتَقِ عُرَى الْإِسْلَامِ: الْوَلَايَةَ فِي اللَّهِ، وَالْحُبَّ فِي اللَّهِ وَالْبَغْضَ فِي اللَّهِ﴾<sup>(3)</sup>، وبذلك يكون الشريف قد خالف نصوص القرآن الكريم والسنة الصريحة، وأخطأ خطأً شرعياً جسيماً بمولاته قوماً قال تعالى فيهم: ﴿لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً﴾<sup>(4)</sup>، وقد ظهرت نتيجة استعانتهم بهم بعد أيام معدودات حين نقضوا عهودهم معه ولم يعطوه ما وعدوه، بل لما اصطدمت مصالحهم بمصلحته أداروا ظهورهم له، وأظهروا نواياهم الحقيقية التي لم تكن لتصبَّ يوماً في مصلحة العرب والمسلمين بل مصالحهم فحسب.

ثم إنَّ الشريف حسين قد خرج على دولة طالما خدمت الإسلام قروناً عدة، ويكفيها شرفاً أن أحد أهم إنجازاتها وهو فتح القسطنطينية الذي بشر به النبي ﴿قد حدث على يد أهم قادتها وهو محمد الفاتح الذي مدحه النبي ﴿ومدح جيشه عندما قال: ﴿لَتَفْتَحَنَّ الْقُسْطَنْطِينِيَّةَ عَلَى يَدِ رَجُلٍ، فَلَنِعْمَ الْأَمِيرُ أَمِيرُهَا، وَلَنِعْمَ الْجَيْشُ ذَلِكَ الْجَيْشُ﴾﴾<sup>(5)</sup>.

ولعل الدول الغربية أرادت أن تقضي على آخر مركز قوي تابع للدولة العثمانية فاختارت بلاد الحرمين؛ لكون أهل جميع البلاد تبعاً لهما، واستعملت الشريف حسين كأداة لتحقيق ذلك وبمجرد

(1) المرجع نفسه: 691/2.

(2) سورة المائدة، آية: 51.

(3) الطبراني، المعجم الصغير: 373/1 رقم 624، وقال الهيثمي: رواه الطبراني في الصغير وفيه عقال بن الجعد قال البخاري منكر الحديث. مجمع الزوائد: 90/1.

(4) سورة التوبة، من الآية: 10.

(5) الامام أحمد، المسند: 335/4، والطبراني، المعجم الكبير: 38/2 رقم 1216، قال الهيثمي رواه أحمد والبزار والطبراني ورجاله ثقات. مجمع الزوائد: 219/6.



تحققه تخلت عن تلك الأداة، ولكن ذلك كله لا يُخلي الشريف من المسؤولية الشرعية، فهل يصح أن يكون جزاء تلك الدولة العليّة التي نشرت الإسلام شرقاً ومغرباً أن نتنكر لها؟ وإن جاز ذلك فكيف يجوز الاستعانة بغير المسلمين لتحقيق ذلك؟

وكان من أبرز تبعات تلك الثورة انتهاز بعض القبائل لفرصة انشغال الدولة بالثورة فقطعوا الطرق على الناس واعترضوهم ونهبوا أموالهم فغاب الأمان، وانتشرت الفوضى.

### العلاقات بين نجد ومكة

في هذه المرحلة الزمنية بدأت العلاقات بين نجد ومكة المكرمة تنعطف انعطافاً خطيراً، وكان لتلك العلاقات السياسية تاريخٌ طويل يحفل بمواقف الخصومة والعداء، فجدوره ترجع إلى الدولة السعودية الأولى عندما وقف الأشراف ضدّ السعوديين وكانوا عوناً لجيش محمد علي باشا وقدموا له التسهيلات والمساعدات التي مكنت جيشه من اقتحام الدرعية وإنهاء تلك الدولة سنة 1233هـ، وعندما بدأ عبد العزيز بن عبد الرحمن بإعادة بناء الدولة السعودية ومحاربة الأمراء الذين تقاسموا منطقة نجد كان أشراف مكة مؤيدين لبعض خصومه، وبخاصة آل الرشيد في حائل<sup>(1)</sup>.

ولما عين العثمانيون الشريف حسين أميراً على الحجاز قاد حملة إلى عسير لفكّ الحصار عن القوة العثمانية المحاصرة في أبها، وكان يحاصرها آل عائض والإدريسي، وهما حلفاء عبد العزيز آنئذ فكان موقفه هذا إعادة لمظاهر الخلاف والخصومة بين الشرفاء وآل سعود<sup>(2)</sup>.

ثم ظهرت مسألة الحدود بين نجد والحجاز وكان من المناطق المتنازع عليها الخرمة فأوعز الحسين إلى ابنه وقائده الظافر في المدينة الأمير عبد الله أن يميل بجيشه ومعداته الثقيلة إلى تربة والخرمة، فتقدم حتى انتهى إلى تربة في 24/شعبان/1337هـ وبات ليلته فيها فباغتته بعض العشائر الموالية لعبد العزيز ووضعت السيوف في جيشه، ولم ينج إلا القليل كان من بينهم القائد والأمير عبد الله<sup>(3)</sup>.

(1) بدر، التاريخ الشامل: 135/3.

(2) بدر، التاريخ الشامل: 135/3.

(3) ينظر: السباعي، تاريخ مكة: 702/2.

ثم بدأت المجابهة العسكرية الصارمة بين السعوديين والأشراف بسبب الخلافات الحدودية سنة 1339هـ-1921م، وهاجم السعوديون بعض القرى والمناطق التي يعدها الأشراف تابعة لنفوذهم، ورداً على ذلك منع الشريف حسين أهل نجد من الحج، ثم سمح لهم، ثم منعهم، فزحف السعوديون إثر موسم الحج مباشرة إلى منطقة الطائف واحتلوا مخافرها المتقدمة في أول صفر سنة 1343هـ فطلب الشريف حسين من ابنه أن يسير برجاله إلى الطائف للدفاع عنها ووقف زحف السعوديين، فتحرك الشريف علي برجاله إلى الطائف يوم 2/ صفر، ولكن الطائف سقطت بيد السعوديين في 7/ صفر، وانسحب الشريف علي مع بقية الجيش الهاشمي إلى منطقة الهدا، وما لبث السعوديون أن هاجموا في ليلة 26/ صفر/ 1343هـ، فدارت معركة حامية استمرت بضع ساعات وانتهت بانسحاب الجيش الهاشمي إلى "بازان"، وانتقل كثيرٌ من أهل مكة إلى الطائف خوفاً من السعوديين<sup>(1)</sup>.

ثم اجتمع أعيان الحجاز في 5/ ربيع الأول/ 1343هـ وقرروا خلع الحسين ومبايعة ابنه الشريف علي ملكاً على الحجاز فتسلم الشريف علي الملك وغادر الحسين جدة يوم 11/ ربيع الأول إلى العقبة<sup>(2)</sup>.

### الحزب الوطني

وقد انبثق عن اجتماعات جدة حزبٌ كَوَّنَه المجتمعون قبيل مبايعة الأمير علي وأطلقوا عليه "الحزب الوطني" واستنوا له المبادئ الآتية<sup>(3)</sup>:-

- 1- السعي بكل الوسائل لحفظ البلاد من الكارثة الساحقة المحدقة بها.
  - 2- السعي لجعل البلاد دستورية إسلامية سالمة من شوائب الدسائس والنفوذ الأجنبي.
  - 3- النزول على ما يرتئيه العالم الإسلامي لمصلحة البلاد والعباد وكيفية إدارة البلاد.
- وتشكل الحزب على النحو الآتي<sup>(4)</sup>:-

الشيخ محمد الطويل: رئيساً.

(1) ينظر: بدر، المرجع السابق: 134/3-138.

(2) ينظر: التاريخ الشامل: 138/3.

(3) السباعي، تاريخ مكة: 712/2.

(4) المرجع نفسه: 713/2.

محمد طاهر الدباغ: سكرتيراً عاماً "أمين السر".

قاسم زينل: خازناً.

عبد الله رضا، وصالح شطا، وعبد الرؤوف الصبان، والشريف شرف بن راجح، وسليمان القابل، ومحمد نصيف، ومحمد صالح نصيف، ومحمود شلهوب، ماجد كردي: أعضاء.

وقد أصدر الحزب بيانه التأسيسي، ثم أصدر بيان تنصيبه للملك علي في يوم بيعته، وارسله إلى صحف مصر، وعليه توقيع السيد محمد طاهر الدباغ أمين سرّ الحزب<sup>(1)</sup>.

### المطلب الثاني: الحالة الإدارية

أمر الله سبحانه وتعالى سيدنا إبراهيم وسيدنا اسماعيل عليهما السلام أن يديرا شؤون البيت الحرام بعد أن أتما بناءه، فقال: ﴿وعهدنا إلى إبراهيم وإسماعيل أن طهرا بيتي للطائفين والركع السجود﴾<sup>(2)</sup>، فاقصر عملهما على تطهير البيت، إذ كانت الحياة بسيطة، وحاجات البيت متواضعة، ولما دارت عجلة الزمان بدأت الحياة بالتطور، حتى ذكر القرآن الكريم عمليْن إداريين في عهد إدارة قريش لمكة، بقوله: ﴿أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام...﴾<sup>(3)</sup>، واستمرت عجلة الزمان بالدوران، فاتسعت مكة، وكثر القصاد والمجاورون، وازدادت كثافتها السكانية، وتطورت الحياة وكثرت حاجاتها ومتطلباتها وتعاقبت الحكومات ولكل منها سياسة خاصة، غير أنها جميعاً حرصت على العناية بمكة المكرمة؛ لما لها من قداسة في نفوس المسلمين، ورجالات الدولة العثمانية كانوا من السابقين إلى ذلك لما عندهم من حسن الاعتقاد وخدمة للإسلام.

أمانة العاصمة: (نعني بأمانة العاصمة بلدية مكة المكرمة، فمكة هي عاصمة بلاد الحجاز، وهي كبرى مدنها ورئيس بلديتها يطلق عليه "أمين العاصمة")<sup>(4)</sup>.

(1) ينظر البيانان: السباعي، تاريخ مكة: 713/2.

(2) سورة البقرة: آية: 125.

(3) سورة التوبة، من الآية: 19.

(4) الكردي، محمد طاهر، التاريخ القويم لمكة وببيت الله الكريم، طبع على نفقة: د. عبد الملك بن دهيش، ط1، دار خضر، بيروت، 1420هـ-2000م: ج5/ص223.

ولما تولى الشريف حسين حكم الحجاز من قبل الدولة العثمانية أمر بإنشاء بلدية مكة المكرمة وذلك في عام 1332هـ، ولم يكن قبل عهده بلديات بالحجاز، وقد جعل الشريف عبد القادر الشبي رئيساً لها<sup>(1)</sup>، وجعل معه الأعضاء وهم<sup>(2)</sup>

1- الشيخ عبد الله أبو الخير

2- الشيخ عبد الوهاب خوير.

3- الشيخ ياسين العظمة.

4- الشيخ محمد الزبيدي.

5- الشيخ سليمان التركي.

وكان الأخير منهم مهندساً، وقد جمع في إحدى المرات المعلمين البنائين وقال لهم: إذا سمعتم أهل العمارات يتخاصمون فيما بينهم على أرض أو بناء أخبرونا بذلك حتى نصلح بينهم لأن لا يتعدى أحدٌ على أحد، ونبّه عليهم أن أي أحد من المعلمين البنائين يريد أن يبني بيته، فرملاؤه من أهل الصنعة يخدمون في البناء ثلاثة أيام مجاناً، والبلدية تعطيه كوشان التعمير مجاناً أيضاً، وكانت البلدية تعطي كوشان التعمير للناس كافة بمقابل هديتين عن كل ذراع، أي في مقابل نصف قرش في ذلك الزمن<sup>(3)</sup>.

ثم إن الشريف حسين المذكور عزل الشيخ عبد القادر الشبي من رئاسة البلدية ووضع مكانه الشيخ يوسف قطان وهو والد الشيخ عباس قطان- ولم يغير أحداً من الأعضاء، ثم نقل الشريف الحسين الشيخ يوسف قطان من رئاسة أمانة العاصمة وجعله وزيراً للنافعة أي وزيراً للأوقاف الخيرية التي ليس لها أحد، ولنوع من الصدقات والخيرات يقوم بها، وكان ذلك بعد إخراج الأتراك من الحجاز وجعل الشيخ عبد القادر عبده رئيساً لأمانة العاصمة ثم عزله وجعل مكانه الشيخ عبد الله مشاط من شعب عامر بمكة ثم عزل جميع الأعضاء وأبدلهم بآخرين، ثم عزل المشاط وجعل مكانه الشيخ أحمد السبحي بمكة ثم عزله وجعل مكانه الشيخ عبد الحي قزاز<sup>(4)</sup>.

(1) ينظر: المرجع نفسه: 223/5-224.

(2) المرجع نفسه: 224/5.

(3) المرجع نفسه: 224/5.

(4) الكردي، التاريخ القويم: 224-225.

وكان من أهم وظائف البلدية تنظيف الشوارع وإصلاحها ففي 25/صفر/1335هـ صدرت الأوامر بتوسيع شارع سوق المدعى وصرف ما يلزم للهدم والبناء ونقل الأنقاض وانتهى في 25/ربيع الثاني من السنة نفسها<sup>(1)</sup>.

### أهم الوظائف الإدارية

وفيما يلي بيان لأهم الوظائف الإدارية التي كانت آنذاك: -

1\_ الإمارة: وهي وظيفة استحدثت في الإسلام أوجدها النبي ﷺ بعد فتحه لمكة المكرمة سنة 8هـ، وعيّن أول أمير لمكة سيدنا عتاب بن أسيد ◀ ويُن له أنّ عمله هو: الحكم بكتاب الله، والانتصاف للمظلوم من الظالم ونصرة الضعيف<sup>(2)</sup>، وجعل له كلّ يوم درهماً<sup>(3)</sup>.

فالغاية من وجود الأمير هو تنظيم أمور الناس الدينية والدنيوية والقيام على خدمتهم وراحتهم، وقد تولى إمارة مكة فعليّاً في أواخر الدولة العثمانية ثلاثة أمراء، هم: عون الرفيق بن محمد بن عبد المعين بن عون من 9/ذي الحجة 1299هـ إلى: جمادي الأولى 1323هـ<sup>(4)</sup>، وعلي بن عبد الله 1323هـ إلى 1326هـ، والحسين بن علي من ذي القعدة 1326هـ - حتى أعلن نفسه ملكاً على الحجاز سنة 1334هـ.

وفي تلك المرحلة الزمنية يصل إلى دست إمارته بالوراثة أو التغلب فلا يكاد يجلس في منصبه حتى يكتب إلى الخليفة العثماني نبأ ذلك ليتلقى الموافقة في صورة مرسوم يُقرأ في المسجد على ملأ أصحاب الحلّ والعقد في مكة في موكب حافل وطقوس مرسومة<sup>(5)</sup>.

وكان الأشراف من أمراء مكة يوقعون عقوباتهم بالسجن أو النفي أو القتل في عهد العثمانيين الأول دون أن يستأذنوا الخليفة، أما في هذا العهد فقد اقتصر نفوذهم على حكم البلاد باسم

(1) ينظر: المرجع نفسه: 238/5.

(2) ينظر: الفاكهي، أخبار مكة: 175/3 رقم 1935.

(3) ابن هشام، السيرة النبوية: 187/5.

(4) دحلان، أحمد بن زيني المكي الشافعي (ت: 1304هـ)، خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام، مكتبة الحقيقة، تركيا، 1418هـ - 1997م: ج 2/ص 339.

(5) السباعي، تاريخ مكة: 514/2.

العثمانيين، وكفّت أيديهم عن العقوبات الشديدة إلاّ بأمر الخليفة، أو قرار يُقرّره مجلس القضايا ويوافق عليه الخليفة<sup>(1)</sup>.

وفيما يلي أبرز الأعمال الإدارية لكل أمير من الأمراء الثلاثة:  
أولاً: عون الرفيق:

أ- اتخذ فرقة الخزناوية كحرس خاص لخدمته وليستعين بهم على تنفيذ أوامره، فتسلطوا على الأهالي وظلموهم<sup>(2)</sup>.

ب- أنشأ بستاناً بجرول تبلغ مساحته 180×370 مسور بسور ارتفاعه متران في وسطه بركة، وقد زرع فيه الجوز الهندي والبرتقال والليمون والنخيل والكادي والورد والبرسيم والكرنب وأنواع الخضراوات<sup>(3)</sup>.

ج- فرض على مواصلات الحجاج أجوراً باهضة في سنة 1303هـ كانت أجرة الجمل من مكة إلى المدينة ثم ينبع 23 ريالاً ومرجوع جدة 38 ريالاً ومرجوع الوجه 35 ريالاً ويدفع ريالاً للشريف ريالاً للوالي وثالثاً للمخرج ورابع للمطوّف ومن المدينة ريالاً للمزور وآخر للميري، أي: خزانة الحكومة العثمانية<sup>(4)</sup>.

د- في عام 1318هـ قسّم طوافة بلاد جاوه والهند والمغرب وبلاد الأناضول وغيرها أقساماً تسابق المطوّفون إلى شرائها، وبذلك ألغى سؤال الحاج عن مطوفه وألزم بتبعية المطوّف الذي اشترى حقوق الطوافة للبلاد التي يتبعها ذلك الحاج<sup>(5)</sup>.

ثانياً: علي بن عبد الله: وأبرز عمل الشريف علي إعادته للمظالم حين اعتقل الخزناوية الذين كانوا يظلمون الناس وصادروا أموالهم وممتلكاتهم لقاء تسديد ما اغتصبوا من أموال الناس<sup>(6)</sup>.

(1) المرجع نفسه: 638/2.

(2) المرجع نفسه: 623/2.

(3) السباعي، تاريخ مكة: 626/2.

(4) المرجع نفسه: 626/2.

(5) المرجع نفسه: 626/2.

(6) المرجع نفسه: 627/2.

ثالثاً: الشريف حسين: وتعدّ المرحلة المهمة في إدارته المرحلة التي اتخذ فيها من مكة عاصمة للحجاز، وأعلن في 7/محرم/1335هـ تشكيلته الحكومية على النحو الآتي<sup>(1)</sup>:

- الأمير علي: رئيس الوكلاء، أي ما يسمى اليوم رئيس الوزراء.

- الأمير فيصل: وكيل الداخلية.

- الأمير عبد الله: وكيل الخارجية.

- الشيخ عبد الله: نائباً عن رئيس الوكلاء وقاضي القضاة.

- الشيخ عبد العزيز المصري: رئيس أركان حرب ووكيل رئاسة الجند.

- الشيخ علي مالكي: وكيلاً للمعارف.

- الشيخ يوسف قطان: وكيلاً للمنافع العمومية.

- الشيخ محمد أمين كتي: وكيلاً للأوقاف.

- الشيخ أحمد باناجه: وكيلاً للمالية.

وأنشأ داراً لسبك النقود الهاشمية، وقد طبع منها الدينار الهاشمي والريال الهاشمي كما طبع القرش ومشتقاته من النحاس الأحمر، كما أنشأ داراً لطبع الطوابع البريدية وعني بعين زيدة فأصلح مجاريها وأصلح المدرج الواقع بجوار العقبة في منى<sup>(2)</sup>.

ب: الولاية: وقد استحدث العثمانيون هذه الوظيفة في بداية الدولة العثمانية واشترطوا أن يكون صاحبها تركياً وكان يُربط أول الأمر في جدة تتبعه فرقة عسكرية كاملة، وسموه "صنّجق جدة" وهو مندوبٌ عن الأتراك العثمانيين، ويمثل سلطتهم، ويشترك الأمير "أمير مكة" في سلطاته، ثم أضافوا إلى صنّجق جدة وظيفة المشيخة على الحرمين ليستطيع أن يباشر شؤون التعميرات في مكة وأن يشرف عن كُتب على إدارة الأعمال فيها، وكان يتلقى أوامره من العاصمة العثمانية مباشرة في بعض الأحيان، ويتلقاها في أحيان أخرى من طريق الوالي التركي في مصر، وكان بحكم منصبه يُساعد على عزل الأمير المعزول من الأشراف في مكة ويحضر تولية المنصب فيها ويقدم له الخلعة الخاصة

(1) المرجع نفسه: 690/2.

(2) السباعي، تاريخ مكة: 700/2.

بذلك، وبالرغم من إقامته في جدة فإنّ سلطته شرعت تتوسع على مدى السنين إلى أن أتيحت له مراقبة تنفيذ جميع أوامر السلطنة كما أتيح له في بعض الأحيان التي يتولى فيها أمير مكة فيها شريف مسالم أو ضعيف أن يحد من نفوذ ذلك الأمير ويسيطر بإشرافه على مقدرات البلاد<sup>(1)</sup>.

وفي هذه المدة الزمنية التي ندرسها سُمّي صندق جدة، والي جدة، ثم نقل العثمانيون مقره إلى مكة ولقبوه باسم "الوالي" إشارة إلى ولايته على الحجاز بأسره<sup>(2)</sup>.

وفيما يلي سرد بأسماء الولاة منذ مطلع القرن الرابع عشر الهجري حتى ثورة الحسين التي أخرجت العثمانيين من الحجاز:

1- أحمد عزّت باشا: قدم إليها أواخر شهر ذي الحجة سنة 1298هـ ثم طلب بنفسه الإقالة من الدولة<sup>(3)</sup>.

2- عثمان نوري باشا: كان أولاً بالطائف ثم ولّته الدولة على مكة فعرف كيف يدير الولاية بعزمه وحزمه، وقد سبق ترجمته في فصل مستقل، ثم عزلته الدولة سنة 1304هـ<sup>(4)</sup>.

3- حسين جميل باشا: وهو ابن نامق باشا، وصل مكة في أوائل سنة 1305هـ، ومكث فيها نحو أربعة أشهر ثم عزلته الدولة<sup>(5)</sup>.

4- صفوت باشا: وكان تولّى سابقاً، وهذه هي المرة الثانية، مكث قليلاً ثم عزلته الدولة<sup>(6)</sup>.

5- نافذ باشا: قدم مكة سنة 1306هـ، وكان فاضلاً محباً للخيرات وقد أزال كثيراً من المنكرات والمكوس وغير ذلك، ثم عزلته الدولة<sup>(7)</sup>.

(1) السباعي، تاريخ مكة: 514/2-516 باختصار.

(2) المرجع نفسه: 516/2.

(3) الكردي، التاريخ القويم: 514/5.

(4) المرجع نفسه: 514/5.

(5) المرجع نفسه: 514/5.

(6) المرجع نفسه: 514/5.

(7) الكردي، التاريخ القويم: 514/5.



- 6- إسماعيل حقي باشا: ويعرف بـ "صاحب الذقن الطويلة"، وفي مدته حصلت بعض الفتن بسبب مسألة الرقيق فعزلته الدولة العلية<sup>(1)</sup>.
- 7- عثمان نوري باشا للمرة الثانية: كان بحلب فوصل إلى مكة بعد تعيينه عليها والياً سنة 1309هـ، ثم عزلته الدولة أيضاً<sup>(2)</sup>.
- 8- أحمد راتب باشا: تولى ومكث بمكة سنة وشيئاً ثم عزل سنة 1311هـ<sup>(3)</sup>.
- 9- حسن حلمي باشا: وصل مكة سنة 1312هـ وبقي بها نحو سنة وشيئاً ثم عزلته الدولة<sup>(4)</sup>.
- 1- كاظم باشا: قدم مكة مستهل رمضان سنة 1326هـ وكان المذكور قومندان فرقة الحجاز العثماني، ثم إنّه في سنة 1327هـ عزلته الدولة<sup>(5)</sup>.
- 11- فؤاد باشا: تولى بعد المذكور ثم عزلته الدولة<sup>(6)</sup>.
- 12- كامل باشا: وصل مكة من اليمن في جمادي الآخر سنة 1328هـ ثم إنّه طلب الإقالة من وظيفته، فأقالته الدولة سنة 1329هـ<sup>(7)</sup>.
- 13- حازم بك: وصل مكة في النصف من ربيع الثاني سنة 1329هـ وكان قد خرج لاستقباله أمير مكة وأعيانها ثم في سنة 1330هـ عزلته الدولة<sup>(8)</sup>.
- 14- مصطفى ذهني باشا: تولى مكة بعد المذكور فوصلها وقد استقبلوه استقبالاً حافلاً، ثم عزلته الدولة<sup>(9)</sup>.
- 15- رشيد باشا: كان والياً بالموصل، ثم وصل إلى مكة في اليوم الثاني من ذي الحجة سنة 1330هـ ثم عزلته الدولة<sup>(10)</sup>.

(1) المرجع نفسه: 514/5.

(2) المرجع نفسه: 515/5.

(3) المرجع نفسه: 515/5.

(4) المرجع نفسه: 515/5.

(5) المرجع نفسه: 515/5.

(6) المرجع نفسه: 515/5.

(7) المرجع نفسه: 515/5.

(8) المرجع نفسه: 515/5.

(9) الكردي، التاريخ القويم: 515/5.

(10) المرجع نفسه: 151/5.

16- أحمد نديم باشا: قدم مكة في شعبان سنة 1331هـ ثم عزلته الدولة في عام 1332هـ<sup>(1)</sup>.

17- وهيب باشا: تولى سنة 1332هـ وكان ميرألاي أركان حرب، وقد عمل بعض إصلاحات خفيفة بمكة وجدة والطائف والليث، ثم في محرم سنة 1333هـ صدرت إليه الأوامر السنية بالتوجه مع المجاهدين من أهل الحرمين الذين اجتمعوا لحرب الكفار إلى قناة السويس، فتوجه ومن معه إلى هناك، وهذه هي أيام الحرب العظمى<sup>(2)</sup>.

18- غالب باشا: تعين والياً على الحجاز فوصل من الاستانة إلى المدينة المنورة بطريق السكة الحديدية الحجازية، وكان معه نحو خمسة آلاف جندي من الجند التركي النظامي، وذلك في إمارة الشريف حسين بن علي الذي قام على الأتراك فيما بعد واستقل بالحجاز فخشي الشريف الحسين نفوذ غالب باشا وسلطته بجيشه النظامي فحرّض العربان على القيام بالفتنة وقطع الطريق فبقي غالب باشا بالمدينة المنورة نحو شهرين، ثم جاء إلى مكة صحبة الشريف علي بن الحسين، وكان غالب باشا يتوجس خيفة من الشريف الحسين وأنه سيقوم ضدّ الأتراك، فما كان من الشريف الحسين إلا أن حلفَ له أنّه من المخلصين في حبّ الدولة العثمانية، فصدق الوالي غالب باشا، ثم طلع إلى الطائف مع جند الحجاز وبقي هنالك إلى أن قام الشريف الحسين بالثورة ضدّ الأتراك في التاسع من شعبان سنة 1334هـ وقد حاصر الطائف الشريف الأمير عبد الله بن الشريف أربعة أشهر حتى نفذت الأتعمة، فسَلَّم البلدة غالب باشا إلى الشريف عبد الله، فهذا أرسله مع الجنود الأتراك أسارى إلى والده الشريف الحسين بمكة، فأرسلهم الشريف الحسين من مكة إلى جدة وسلمهم إلى الحكومة الانكليزية، وهي أرسلتهم إلى مصر. فيكون غالب باشا المذكور هو آخر ولاية الحجاز من طرف الدولة العثمانية<sup>(3)</sup>.

د- الطوافة: اتسع نطاق الطوافة في هذا العهد وازداد عدد المطوفين بعض الشيء وكان أمراء مكة يخصصون بعض المطوفين لطواف جهات خاصة من الآفاق بموجب تقرير يوقعه أمير مكة<sup>(4)</sup>.

(1) المرجع نفسه: 151/5.

(2) المرجع نفسه: 515/5-516.

(3) الكردي، التاريخ القويم: 516/5.

(4) السباعي، تاريخ مكة: 652/2.

وتوسع الشريف عون الرفيق في توزيع البلاد الإسلامية إلى أقسام تقرّر لها مطوفون فكان كل مطوّف مسؤولاً عن البلد التي خصصت له، وشرع بعد هذا يقرّر رسوماً للمطوّف.

وفي سنة 1326هـ صدر قرار مجلس الإدارة بتعرفة الحجاج ونشرته جريدة الحجاز وهو كما يأتي<sup>(1)</sup>:  
1 جنية عثماني أجرة مسكن بمكة للجائين.

2 جنية عثماني إكرامية مطوف وضيافة في عرفة ومنى، ومن توفي قبل الوقوف فعليه نصف المقرر.

10 ربيات هندي إكرامية المطوف لعموم أجناس الهند.

2 جنية عثماني على الداغستاني إكرامية مطوّف وأجرة خيمة في عرفة ومنى وبيت مكة.

5 ريال مجيدي على حجاج مصر والشام والمغرب إكرامية المطوف.

2 ريال مجيدي على حجاج الصعيد وغزة والعراق وأولاد علي والأكراد.

وعلى كل حاج عدا من ذكر أن يدفع لمطوفه إكرامية جنية واحد للميسور، ونصف جنية لمتوسط الحال.

هـ- البلدية: وعندما تسلّم الاتحاديون السلطة في العاصمة العثمانية شرعوا وبحماسة جديدة بإجراء تغييرات إدارية كبيرة فأصدروا مرسوماً بإلغاء وظيفة المحتسب وإحداث إدارة جديدة باسم البلدية ونقل صلاحيات المحتسب إلى رئيس البلدية وحدّدوا مسؤولياته وطبيعة عمله، وقد ارتبطت بالبلدية مسؤوليات: تخطيط المدن، وتنظيم الشوارع والاشراف على المباني وفتح الطرقات والأسواق ومراقبتها- وكانت هذه هي المهمة الكبرى للمحتسب- وأُلغيت من مسؤولياته مهمة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر<sup>(2)</sup>.

#### إدارة المسجد الحرام

كان شيخ الحرم هو الوالي عادةً، وللحرم الشريف نائب وقائم مقام النائب، ومدير يقوم بشؤونه، وعدد خدمة الحرم الشريف 700 شخصاً، ومنهم 122 خطباء وائمة للمذاهب الأربعة، 107 مُدرّسين، و45 مؤذناً، و10 منشدين، و12 فراشاً، و8 وقادين، و20 كنّاساً، و30 بواباً، و12 ج

(1) المرجع نفسه: 653/2.

(2) بدر، التاريخ الشامل: 39-40.

بّادين "ملأوون من بئر زمزم، و108 غسّالين لقناديل الحرم، وهناك وظائف أخرى أخصّها وظائف الأغوات وعددهم 51 وهم يقومون بخدمات مختلفة في الحرم، وأوّل مَنْ رتّب الأغوات في الحرم المكي للخدمة فيه هو الخليفة أبو جعفر المنصور<sup>(1)</sup>.

والخدمة في الحرم وراثية غالباً، ما عدا شيخه ومديره فإنهما يعينان من طرف السلطنة، ووظيفة الأول تكاد تكون سياسية أكثر منها إدارية، والخدمة في الحرمين الشريفين محترمة جداً ويتشرف بالنسبة إليها الخلفاء والسلّاطين منذ زمن بعيد إلى الآن<sup>(2)</sup>.

---

(1) محمد فريد وجدي، دائرة معارف القرن العشرين، ط3، دار المعرفة، بيروت، لبنان، 1971م: ج9/ص372-373.

(2) المرجع نفسه: 373/9.